

نُصُوصٌ مِنْ بَرُوكِوْبِيُوْسَى الْقِيَصَرِي

تعريف

بروكوبيوس القيصري أو Procopius of Caesarea مؤرخ بيزنطي ولد في قيصرية بفلسطين حوالي نهاية القرن الخامس بعد الميلاد. وهو ربما اشتغل بالحمامة في القسطنطينية، ثم عين أمين سرراً للقائد "بيلاسيروس" عام 527م، وصاحبه في حملاته على فارس وإفريقيا وإيطاليا، ثم عاد إلى القسطنطينية عام 540 م. ولا يكاد يعرف عنه شيء بعد ذلك عدا أنه كان يعيش عام 599م.

وتقع كتابات بروكوبيوس في ثلاثة أقسام: "التواريخ" عن حروب فارس والوندال وإفريقيا - في ثمانية كتب، و"عمائر جستينيان" - في ستة كتب، و"الذكريات غير المنشورة" - وهي سميت كذلك لأنها لم تنشر في حياة الكاتب.

ويحوي كتاب "العمائر Buildings" قائمة بأعمال ومنشآت عامة أجزت في عهد جستينيان، ويبدو أنه كتب برغبة إمبراطورية خاصة، كما يعتقد بعض الباحثين، إذ هو يحوي انطباعات شخصية كثيرة، ويتميز بطابع التقرير الرسمي وتعلق الإمبراطور ومجيد أعماله.

ويسمى بروكوبيوس "التواريخ Histories" باسم "كتب عن الحرب" واشتهرت بكتاب "الحروب"، وهي تتحدث عن الحرب الفارسية والحرب الوندالية التي حكي قصة التغلب على الوندال في إفريقيا، ثم الحرب القوطية.

وينبغي أن لا نفوت الإشارة إلى أن بروكوبيوس كان مناصراً متعصباً للنصرانية الكاثوليكية، وهي المذهب الذي كان يدين به جستينيان، مما يظهر أثره واضحاً في كثير من رواياته وأحكامه في النصوص التالية.

كِتَابُ "الصَّائِر"

الكِتَابَانِ الرَّابِعُ وَالخَامِسُ

ليبيا في عصر جستينيان

النيل بين آسيا وليبيا

يقسم نهر النيل، الذي ينبع من الهند ويصب في مصر، تلك البلاد 2 إلى قسمين اثنين حتى يبلغ البحر 3. ويطلق على هذه البلاد - وقد شقها مجرى النهر - بعد ذلك اسمان مختلفان 4.

اختلافات في هذا التقسيم

أما المنطقة التي على يمين النهر فتسمى (آسيا) حتى تبلغ جبال الأورال التي تفصل آسيا عن قارة (أوربا)، أو حتى كل الطريق إلى البوغاز الكميري ونهر (تاناييس) 5 وعند النظر في هذه المسألة نرى المتضلعين في هذه الأمور يختلف كل منهم مع صاحبه مثلما هو موضح في "الكتاب عن الحرب" 6 في سياق وصفه لبحر (يوكسين) 7، وأما الأرض التي تقع على يسار النيل فأنها تحمل

1 - كان الاعتقاد القديم أن الهند تمتد في اتجاه الغرب حتى جنوب مصر، وقد فكر الأسكندر الأكبر في العودة إلى مصر من الهند عن طريق اليابسة.
2 - يعني قارة إفريقيا الآن.
3 - البحر الأبيض المتوسط.
4 - في كتاب (الحروب) مجلد 8 قسم 6 يقول بروكوبيوس أن الأراء تختلف حول الحدود بين آسيا وأوربا، ويقرر أن الناس يزعمون أن النيل يجري بين آسيا وليبيا.
5 - نهر الدون Don الآن.
6 - مجلد 8 قسم 6.
7 - البحر الأسود.

اسم (ليبيا) حتى تبلغ الأفينوس 1 الذي يبين الحد في الغرب بين المرتين بأن يمد ذراعاً 2 تدخل في بحرنا هذا 3. ويطلق على باقي ليبيا كله عدة أسماء مختلفة: فسميت كل منطقة - على الأرجح - باسم القوم الذين يعيشون فيها.

ماذا يعني اسم ليبيا

وعلى كل حال فإن المنطقة الممتدة من حدود الإسكندرية حتى ما بعد قورينا، شاملة (المدن الخمس)، هي الآن الإقليم الوحيد

169 117- الذي يدعى باسم ليبيا.

وفي ذلك القطر توجد مدينة تبعد مسيرة يوم واحد عن الإسكندرية، اسمها (نافوزيريس) حيث يقولون إنها مئوى إله المصريين (اوزيريس) 4. وقد بني الإمبراطور (جستنيان) في هذه المدينة منشآت كثيرة أهم منها على وجه الخصوص محلات إقامة الحكام والحمامات.

إنشاءات جستنيان في ليبيا الشرقية

ويتفق أن يكون الجزء الأعظم من أرض ليبيا هذه صحراء لم يعتن بها على وجه العموم. غير أن إمبراطورنا 5 نظر إلى هذه البلاد كذلك بعين الاهتمام حتى لا تكون عائرة الخط فتقاسي من غارات المور 6 الذين يسكنون البلاد المجاورة: فأسس من أجل هذا حصنين بحاميتيها يدعى أحدهما (باراتونيوم) 7. بينما أطلق على الآخر الذي يقع بعيداً عن المدائن الخمس، اسم (انتيبورغوم) 8.

1 - المحيط الأطلنطي.

2 - مضيق جبل طارق.

3 - البحر الأبيض المتوسط "بحر الروم".

4 - Osiris إله مصري يسميه هيرودوتس وبيدوروس الصقلي (ديونوسوس)، كان زوج أيزيس ووالد حورس.

5 - يعني جستنيان.

6 - The Moors ومن الصعب تحديد اللفظ، إلا أن الأغلب أنه كان يطلق على سكان شمال إفريقيا ما بين ليبيا والمغرب، وهم كسواهم من الأجناس ذوو نشأة أسطورية، ويقال إن جدهم الأعلى هو Tidrarin ويعني: إنسان الجبل. إذ أن معنى كلمة Adrar بالبربرية "الجبل". أنظر للتفصيل: L. C. Briggs, Tribes of The Sahara, London, 1960, p. 277.

7 - Paratonium مرسى مطروح، وكانت تدعى أيضاً Ammonia.

8 - Antipyrgum - طبرق الآن.

في برنيق وما حولها

وتبعد المدائن الخمس عن الإسكندرية مسيرة عشرين يوماً، لمسافر لا حمل له 1. وقد أحاط الإمبراطور جستنيان في منطقة المدائن الخمس هذه مدينة (توخيرا) 2 بتحصينات قوية جداً، وهو أعاد بناء سور (برنيق) 3 الدائري من أساساته السفلى، وابتنى في تلك المدينة أيضاً حماماً يستعمله الشعب، وفضلاً عن ذلك فقد شيد على أقصى حدود المدائن الخمس من ناحية الجنوب قلاعاً في دبرين يحملان اسمي (اغريولدي) و(دينارثيسوم)، وهما يقفان كحصنين في وجه أهل ذلك الإقليم حتى لا يهبطوا خلسة إلى المنطقة الرومانية ويهاجموها على حين غرة.

وبتولومايس

وتوجد هناك مدينة تدعى (بتولومايس) 4، وكانت في الأزمنة الغابرة مزدهرة وأهلة بالسكان، لكنها كادت تهجر تماماً بمضي الزمن نظراً لافتقارها الشديد إلى الماء فيها فإن أغلب السكان تركوها منذ زمن طويل، وقد أمضهم الضمأ، وذهب كل منهم إلى وجهته، وعلى كل حال فإن هذا الإمبراطور أعاد بناء قناطر المدينة الآن، فأعاد لها بهذا ازدهارها القديم.

وتدعى أقصى مدينة من المدن الخمس ناحية الغرب (بوريوم) 5، وهنا تقرب الجبال من بعضها البعض، فتكون بالتحامها حصناً فتسد المدخل على العدو تماماً وقد أحاط الإمبراطور هذه المدينة، التي لم يكن لها سور من قبل، بتحصينات قوية حتى يجعلها آمنة جهد الشاقفة في المستقبل، وهي وكل ما

يحيط بها من البلاد.

1 - حوالي 400 ميل.

2 - Tauchira طوكرة الآن.

3 - Berenice بنغازي الآن.

4 - Ptolimais ظلمينه الآن.

5 - Boreium راجع ما نشره Googchild عنها في مجلة Helle** Studies لندن، العدد 41.

جالو وأوجلة

وهناك مدينتان تعرف كل منهما بذات الاسم، تدعى كل منهما (أوجلة)1، وهما تبعدان عن بوريوم جنوباً بحوالي مسيرة أربعة أيام لمسافر لا حمل له2، وهما مدينتان قديمتان احتفظتا كلتاهما بعبادات الأقدمين، إذ كانوا جميعاً في ضلال الشرك حتى يومي هذا، وتوجد هنا معابد من الأزمنة الغابرة مكرسة (لأمون)3 و(الأسكندر المقدوني)4، وقد تعود الأهالي فعلاً أن يقدموا لها القرابين حتى عهد جستنيان، وكان في هذا المكان عدد كبير من يدعون (عبيد الهيكل)5.

نشر النصرانية

لكن الإمبراطور أخذ أهفته الآن، لا لأمن أشخاص رعاياه فحسب، بل هو وضع في اعتباره خلاص أرواحهم كذلك، فاعتنى من كل سبيل من يعيش هناك من الناس، والحق أنه لم يترك وسيلة للتفكير في حاجاتهم المادية تفكيراً فوق العادة، وهو علمهم كذلك مذهب العقيدة الحققة6، فحول السكان جميعهم إلى النصرانية ومهد السبيل لتبديد عادات أجدادهم الرجسة، وبنى لهم فضلاً عن ذلك كنيسة لأم الرب7، لتكون حارساً لأمن المدينتين والعقيدة الحققة، وحسبنا من هذا الآن.

اليهود ومعبد سليمان

أما مدينة بوريوم، التي تقع بالقرب من المور، فأنها لم تدعن قط لدفع

- 1 - لعله يعني ما يدعى الآن واحتي جالو وأوجله، قارن: هيروdotس، الكتاب الرابع فقرة 172.
- 2 - هذا يعني حوالي 80 ميلاً.
- 3 - Ammon ومعبد في سبويه، ولعل له معابد أخرى متفرعة عنه.
- 4 - ابن فيليب المقدوني، ولد سنة 356 ق.م. وتوفي عام 323 ق.م. وأمره معروف مشهور، وقد زار الأسكندر معبد أمون في سبويه وأعلن انتماءه إليه، وهناك نقود سكنت باسم الأسكندر تحمل صورته بزينة فخر الكيش الذي كان يبرأ لأمون.
- 5 - Temple - Slaves لعلمهم كانوا مكرسين لخدمة المعبد، أو هم سدنته.
- 6 - يعني النصرانية المؤمنة بالتثليث.
- 7 - مريم العذراء.

الجزية حتى الوقت الحاضر، كما لم يأتها جامع جزية أو ضرائب منذ أن خلق الإنسان، وقد عاش اليهود بالقرب منها منذ الأزمنة القديمة، وكان لهم معبد عتيق هناك أيضاً يوقرونه ويكرمونه، منذ أن بناه (سليمان)1 - كما يقولون - حين كان يحكم الشعب العبري، لكن الإمبراطور جستنيان مهد الطريق هؤلاء عبادة أسلافهم كذلك ويصبحوا نصارى، وحول معبدهم إلى كنيسة.

لَم سَمِيَتْ سِرْت الْكَبْرَى بِهَذَا الْاسْم

وتقع بعد هذه (سرت الكبرى)2 - كما تسمى - وسأشرح شكلها ولم أطلق هذا الاسم عليها، فإن نوعاً من شاطئ البحر يمتد هناك يقسمه البحر بدخوله، ولما كان مغطى بالماء فإنه يبدو وكأنه يختفي ولا يصبح واضحاً، فيشكل بانحنائه خليجاً هلالياً الشكل طويلاً جداً، ويمتد وتر الهلال إلى مسافة أربعمائة فرسخ3، لكن محيطه يبلغ مسافة ستة أيام4؛ لأن البحر يكوّن الخليج بأن يدفع نفسه داخل هذا النزاع من اليابسة، وعندما يدفع الريح أو الموج سفينة فتدخل الثغرة التي وراء وتر الهلال يستحيل عليها أن تعود، بل هي تبدو منذ تلك اللحظة وكأنها تُسحب5، ويظهر بجلاء أنها جُر إلى الإمام، وأحسب أنه من هذه الحقيقة سُمي الأوائل موقع (سرت) وبسبب من مصير السفن، ومن جهة أخرى فإنه من المتعذر على السفن أن تشق طريقها إلى الشاطئ؛ لأن الصخور الغاطسة تحت الماء، والتي انتشرت عبر القسم الأكبر من الخليج، لا تسمح بالملاحة في هذه الأنحاء، فهي تحكم السفن في المياه الضحلة هناك، ولا يستطيع بحارة هذه السفن أن ينجوا بأنفسهم إلا في

- 1 - هو سليمان الحكيم أو سليمان بن داود، حكم من سنة 976 - 936 ق.م. وكان على علاقة وثيقة بالفرعون الليبي شيشنق 945 - 924 ق.م. وقد تزوج من ابنة شيشنق هذا وكان لها عليه تأثير كبير.
- 2 - يعني خليج سيرة.
- 3 - حوالي 50 ميلاً.
- 4 - حوالي 120 ميلاً.
- 5 - Surithai باللاتينية، وقد علق مترجم النص إلى الإجليزية بقوله: "إن علم الاشتقاق الحديث يربط الاسم بالكلمة العربية "سرت" أي الصحراء وهو اصطلاح يطلق الآن على كل الساحل شمال الصحراء"، ولم أجد في ما بين يدي من معاجم وقواميس عربية ما يؤيد هذا القول.

القوارب الصغيرة، إذا كان الحظ حليفهم، وذلك بأن يتلمسوا طريقهم إلى المنافذ وسط الأخطار¹.

طرابلس وغدامس

وهنا توجد حدود (طرابلس) 2 كما تسمى، ويسكنها المور الذين هم من أصل فينيقي، كما توجد هنا أيضاً مدينة تسمى (غدامس) 3، وفيها يعيش المور الذين كانوا متسالمين مع الرومان منذ غابر الأزمان، وقد كسب الإمبراطور جستنيان هؤلاء جميعاً وأعتنقوا العقيدة النصرانية طوعاً.

ويسمى هؤلاء المور (باكاتي) 4 لأن بينهم وبين الروم معاهدة دائمة، إذ أن السلام يدعونه (باكوم) 5 في اللسان اللاتيني، وتبعد طرابلس مسيرة عشرين يوماً عن بنطابلس 6 لمسافر لا حمل له.

لبدة العظمى

وتأتي بعد هذا مدينة (لبدة العظمى) 7 التي كانت في الأزمنة القديمة مدينة كبيرة أهلة بالسكان، غير أنها في زمن لاحق خلت في الجزء الأكبر منها، فطمرتها الرمال بكثرة وأصابها الإهمال، فبني إمبراطورنا السور المحيط بهذه

1 - من أشهر حوادث أخطار ضحاح سرت ما حدث للقديس بولس حين كان في طريقه على إيطاليا للتبشير للنصرانية؛ فعرضت السفينة التي كان فيها إلى بعض هذه الأخطار "... فلما نسجت ربح جنوب ظنوا أنهم قد ملكوا مقصدهم، فرفعوا المرساة وطفقوا يتجاوزون كربت على أكثر قرب ...، وإذ كانوا خائفين أن يبقوا في السبيرتس "سرت" أنزلوا الفلوع، وهكذا كانوا يحملون، وإذ كنا في نوء عنيف جعلوا يفرغون في الغد، وفي اليوم الثالث رمينا بأبدينا أثار السفينة، وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة وأشد علينا نوع ليس يقليل انتزع أخيراً كل رجاء في خائنا...، ولما صار النهار لم يكونوا يعرفون الأرض ولكنهم ابصروا خليجاً له نشاط، فأجمعوا أن يدفعوا إليه السفينة إن أمكنهم، فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر وحلوا ببط الدفة أيضاً رفعوا قلعا للريح الهابة وأقبلوا إلى الشاطئ، وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شططوا السفينة فازكركا المقدم ولبت لا يتحرك، وأما المؤخر فكان ينحل من عنف الأمواج..." العهد الجديد - أعمال الرسل، الإصحاح السابع والعشرون.

2 - Tripolis أو المدن الثلاث.

3 - Cidame واحدة ليبية على الحدود مع الجزائر.

4 - Pacati أي السالون.

5 - Pacum السلم ومنه الكلمة الإنجليزية Peace.

6 - Pentapolis مدن بركة الخمس.

7 - Leptis Magna شرقي مدينة الخمس عسيفة بسيرة، وهي مدينة أنشأها الفينيقيون بعد إنشاء قرطاجنة بتونس كمستنق جزاري لهم، وازدهرت ازدهاراً عظيماً في عهد الرومان وصارت مدينة حرة خاصة إبان حكم ابنها (سبتيموس سيفروس)، ولا تزال آثارها الفخمة تعد حتى اليوم من أجمل وأعظم آثار العالم أن لم تكن نهباً جميعاً.

المدينة من أسسها، وإن كان لا يبلغ على كل حال مقدار سعته التي كان عليها من قبل، حتى لا تضعف المدينة مرة أخرى بسبب من اتساعها الكبير ويمكن أن تسقط في يد العدو أو تغزوها الرمال، وهو فعلاً ترك القطاع المطمور من المدينة بسور مبني بناءً قوياً جداً، وهو هنا أوقف على أم الرب 1 حرماً شهيراً للغاية، وبني أربع كنائس أخرى.

قصر سيفروس

وأكثر من هذا فإنه أعاد بناء القصر الذي شيد هنا في الأزمنة السالفة ويرقد الآن أطلاقاً، وهو من عمل الإمبراطور القديم (سيفروس) 2 الذي ولد في هذا المكان وخلف هذا القصر كذكرى لحظه السعيد.

لبدة بين الوندال ولواته

والآن، وقد بلغت هذه النقطة في الحديث، فإنني لا أستطيع أن أجاوزها دون أن أذكر ما حدث في لبدة العظمى في أيامنا، فانه حين تسلم الإمبراطور جستنيان زمام السلطة الإمبراطورية، وإن كان لم يكسب الحرب الوندالية 3 بعد، تغلب المور الذين يدعون (لواته) 4 على الوندال الذين يسودون ليبيا آنذاك.

1 - يعني مريم العذراء أم عيسى عليه السلام.

2 - لوكيوس سبتيموس سيفروس L. Septemius Severus ولد في لبدة سنة 146 م، والراجح أنه من أرومة ليبية، وبعد توليه عدة مناصب في عهد ماركوس أوريليوس وكومودوس عين قائداً للجيش في الليبيا (يوغوسلافيا الآن وما حولها) فأعلنه جنوده إمبراطوراً بعد وفاة بيرناكس فسار في الحال إلى روما، ولما استولى على العرش أدار جيشه نحو خصمه "باجر" الذي نادى به فيقال جيش الرومان في الشرق إمبراطوراً، فهزمه عند أسوس وقتله عام 194 م، ثم حاصر بيزنطة (القسطنطينية) وأخذها عنوة سنة 196 م، وفي هذه الأثناء قاد حملة ناجحة شرقي الفرات سنة 195 م، وبعد بيزنطية انقلب الإمبراطور إلى روما، ثم لجأ إلى خصمه البيزنطيين في فرنسا، فانتصر عليه وقتله عام 197 م، وأصبح سيفروس بهذا السيد المطلق على العالم الروماني بأسره، وبين عام 199 - 202 م، كان سيفروس في الشرق لقمع ثورة البارثيين الذين اكتسحوا بلاد ما بين النهرين، ثم عاد إلى روما في السنة التالية، وخلال السنوات الخمس التالية انهمك في تحسين أحوال مدن إمبراطوريته، وقد حازت لبدة من عناية بنصيب الأسد، إذ كانت تحل مكانة خاصة في قلبه وعقله، وحظيت بزيارته وأهتمامه، وكان سيفروس في بداية حياته قد افتتن بثاميرة سورية تدعى Julia Domna وكانت هذه السيدة قد أحضرت معها أختها مائسة Maesa، وإبنتي أختها، وكان جميعاً على ذكاء وفطنة كبيرين، وعن طريقهن عمّت الروح الشرقية العالم الروماني، وتوفي سيفروس في يورك بالإنجلترا في أثناء حربه مع قبائل اسكتلندا والجنرال عام 211 م، بعد حكم زاهر استمر 18 عاماً، وخلفه ابنه كاكلا وجينا على العرش.

3 - هي الحرب التي خاضها اباطرة بيزنطة ضد الوندال في أوريا وأفريقيا، (انظر: بروكوبيوس، كتاب الحروب، الكتاب الثالث، الحرب الوندالية، المجلد الثاني من سلسلة Loeb).

4 - Luathae ويذهب فرنسيس رود F. Rodd في كتابه People of The Veil (ص 337) إلى قبائل لواته هي بعينها قبائل الليبي Lebo القديمة، وهو يعزز رأيه بنطاق الاسمين تقريباً، وأن الأديسي وضع لواته في نفس الوضع الذي

كتاب "الحروب" الكتاب الثالث

الحروب الوندالية

تعريف

احتل الوندال قرطاجنة سنة 439م، تحت قيادة (جيزريك)، بعد أن اخترق إسبانيا حين دعاه (يونفاشو) لمساعدته ضد منافسه (بلاكديبا)، فطرده جيزريك من مملكته، وحكم هو وعقبه إفريقيا مائة عام بعد ذلك.

وقد كان الوندال شعباً من أصل جرمانى هاجروا من موطنهم على بحر (أزوف) عبر ألمانيا وفرنسا وإسبانيا، وأعتنقوا خلال هجرتهم النصرانية الأريانية، فكانوا الأعداء الألداء للكاثوليكية، فسلبوا الإفريقيين الكاثوليك أموالهم، وطردوا القساوسة، ومن ظل على اعتناقه للكاثوليكية، وهم لم يحتلوا المدن في حملتهم الطويلة، بل تجنبوها وعمدوا إلى تدمير تحصيناتها وقلعها حتى لا يحتمي بها أعداؤهم، وكانت هذه هي عادة زعيمهم الأول جيزريك، فدمروا أسوار لبة وصبراته وربما أوبا، والأثر الوحيد الدال عليهم في المدن هي قطعة النقود التي وجدت في سوق لبة.

وقدمت جيزريك عام 477 م، ولم يحدث بينه وبين القبائل الليبية صراع أثناء حياته، بل كان بينه وبين الروم البيزنطيين في شمال إفريقيا، غير أن الأمور بين الوندال والليبيين لم تلبث أن توترت، فقام زعيم قبيلة ليبية اسمه (كاباون) بالثورة في وجه الوندال وملاقاتهم حتى تمكن بحنكته وخبرته الحربية من هزيمتهم ودرهمهم، ولا يحدد بروكوبيوس اسم قبيلة كاباون، وان كان الأغلب أنها (لوانته) التي كانت لها سطوة ونفوذ آنذاك.

وأخلوا لبة العظمى كلية من السكان، وبينما كانوا يتربصون مع قادتهم على أرض مرتفعة غير بعيد من لبة العظمى رأوا فجأةً لهباً يتصاعد وسط المدينة، فسارعوا إلى النجدة على عجل ظانين أن الأعداء دخلوها، فلما لم يجدوا أحداً هناك حملوا الأمر إلى كهانهم الذين تنبأوا، استناداً إلى ما حدث، بأن لبة العظمى ستعمر من جديد، ولم يمض وقت طويل بعد هذا حتى جاء جيش الإمبراطور وأحتل كلاً من طرابلس وبقية ليبيا داخراً كلاً من الوندال والمور في الحرب، وسأعود على كل حال إلى النقطة التي بعدت عنها في الحديث.

من أعمال جستنيان التبشيرية

وقد بنى الإمبراطور جستنيان في هذه المدينة كذلك حمامات عامة، وشيد السور المحيط بالمدينة من أسسه السفلي، فأسبغ على المدينة بهذه الحمامات والتحسينات الأخرى طابع المدينة، وهو جعل من أهل القبائل التي تعيش بالقرب منها، والتي تدعى (الغادابيتاني) 1 - وكانت حتى ذلك العهد منغمسة في ما يسمى شكل الإلحاد الإغريقي 2 - جعل منهم الآن نصارى متحمسين، وهو سور كذلك مدينة صبراته 3 حيث بنى أيضاً كنيسة جديدة بالاعتبار.

عنه لها المؤرخ ليو ودعاهم لبيبتاي Lebetae أو ليفاتيه Levata، ويرى رود أن النطق العربي الذي أورده ابن خلدون في حديثه عن البربر وهو (لوانته) ربما كان محرفاً عن (لفاتيه) اللاتينية، وكان حرفا الـ B والـ V كثيراً ما يختلطان في العصر البيزنطي فيقال (بندال) و(فندال) مثلاً، وقد كانت مواطن لوانته في العهد البيزنطي في سرت الصغرى (خليج قابس)، ويقول المسعودي إنهم كانوا يعيشون في واحات مصر، كذلك نحن نعرف أن قبائل الليبيو تعرضت لغزو قبائل المشوش في الغرب، فمن المرجح أن يكون هناك اختلاط بين القبيلتين وأن من الليبيو من بقي في الواحات شرقي ليبيا ومنهم من جاء إلى غربها.

وقد قامت لوانته في القرن العاشر الميلادي (947 - 8) بمساعدة حاكم ناهرت في الجزائر ضد المنصور الخليفة الفاطمي الثالث، فلما انتصر المنصور على خصمه دفع لوانته إلى الصحراء، فمنهم من لاذ بالهجرة ما بين صفاقس وقابس حيث ظلوا حتى أيام ابن خلدون، ومنهم من جأ إلى واحة سيوه والناطق المحيطة بها.

1 - Gadabitanani قبيلة ليبية لا يعرف موطنها.

2 - يعني الوثنية.

3 - Sabratha، غربي طرابلس بحوالي سنتين كيلو متراً.

نكبة الوندال

فقرة 8

الوندال يضطهدون النصارى الكاثوليك

آل حكم الوندال بعد موت (هونوريك) إلى (غونداموندوس) ابن (جينزون) بن جيزريك). إذ كان أكبر ذرية جيزريك سنناً. وقد أشتبك غونداموندوس هذا في معارك عديدة مع المور. ثم مرض ومات. بعد أن أذاق النصارى صنوف العذاب. في منتصف العام الثاني عشر من حكمه. ثم تقلد زمام الحكم من بعده أخوه (تراساموندوس) وهو رجل وهب حسن الصورة والفتنة وسعة الفكر. لكنه على كل حال ظل يجبر النصارى على تغيير دين آبائهم. لا عن طريق التنكيل بأجسادهم كما يفعل أسلافه. بل بمحاولة كسبهم عن طريق التكريم والمناصب وإغداق المال عليهم. أما بالنسبة لمن لا يقتنعون منهم فقد كان يتظاهر بأنه لم يكن يعرف إلى أي دين ينتسبون. فإذا ما قبض على أي مذب منهم بجرم عظيم أرتكبه عمداً أو عن غير قصد فإنه كان يعرض عليه أن يعفيه من العقاب على جرمه في مقابل أن يغير معتقده.

تراساموندوس يتولى زعامة الوندال

وعندما توفيت زوجة تراساموندوس دون أن تخلف عقباً ذكراً أو أنثى أرسل إلى (لذريق) ملك (القوط) 2 وطلب منه أن يزوجه أخته (أما لافريدا) التي توفي عنها زوجها منذ عهد قريب. أملاً في تأسيس المملكة على أسس مأمونة جهد الطاقه. فلم يكتف لذريق بأن يرسل له أخته فحسب. بل بعث معها كذلك ألف رجل من أعيان القوط حرساً خاصاً لها. ومن خلفهم جملة من الأتباع يبلغون حوالي خمسة آلاف رجل محارب عدداً. وأهدى لذريق أخته أيضاً أحد

1 - Moors - أهل شمال أفريقيا.

2 - Goths. حكام إسبانيا حتى الفتح الإسلامي.

رؤوس صقلية الثلاثة - وهو رأس (ليلوبايوم) - ونتيجة لهذا عُذَّ تراساموندوس أقوى وأشد من حكم الوندال. كما أصبح كذلك صديقاً حميماً للإمبراطور (أنستاس). وفي عهد تراساموندوس هذا عانى الوندال نكبة مريرة على أيدي المور لم تصبهم أبداً من قبل!

كاباون الطرابلسي يستعد للقاء الوندال

فقد كان هناك رجل يدعى "كاباون" 1 يحكم مور طرابلس. تميز بالدهاء الكبير وخاض معارك كثيرة. وعندما علم كاباون هذا بزحف الوندال عليه قام بالعمل التالي: فأصدر أوامره أولاً إلى أتباعه بأن يتعدوا عن كل عسف. وان يجتنبوا المتعة ويمتنعوا خصوصاً عن معاشره نساءهم. ثم أقام بعد ذلك سورين دائريين عسكر هو والرجال جميعاً في أحدهما ووضع النسوة في الآخر. وتوعد بالموت عقوبة لمن يذهب إلى معسكر النساء. وبعدها أرسل عيوناً إلى (قرطاجنة) مزودين بهذه التعليمات: عليهم أن يراقبوا الوندال متى مضوا في حملتهم قدماً وأهانتهم لأي معبد يوقره النصارى. ويرصدوا ما يحدث. وحين يغادر الوندال المكان عليهم أن يفعلوا عكس ما فعله الوندال بالمعابد قبل رحيلهم عنها. ويقولون إنه أضاف إلى هذا أنه كان يجهل الإله الذي يعبد النصارى. لكن من المحتمل - لو كان هذا الإله قوياً كما يقال عنه - أن ينزل نقمته المدمرة بمن أهانوه ودافع عن مجلوه.

عيون كاباون يتعقبون الوندال

وهكذا جاء جواسيس كاباون إلى قرطاجنة وانتظروا في هدوء يلاحظون تأهب الوندال. لكن ما إن بدأ الجيش مسيرته إلى طرابلس حتى افتفوا أثره مرتدين ثياباً رثة. ولما عسكر الوندال في اليوم الأول اقتادوا خيولهم وحيواناتهم

1 - Cabaon و ولعل هناك صلة بين اسمه واسم بلدة كاباو cabao في جبل نفوسة.

الأخرى إلى داخل معابد النصارى. ولم يدعو منكرًا إلا فعلوه. وقاموا بكل محظور جيزه طبيعتهم المتوحشة. فضربوا من أمسكوا به من الرهبان وجلدوهم جلدًا عنيفًا على ظهورهم بالسياط. لكن بمجرد أن أرخّل الوندال من هناك قام جواسيس كاباون بعمل ما أمروا به. فنظفوا في الحال المعابد وأزالوا منها أكداش الفانورات وكل خبيث فيها. وأوقدوا جميع المشاعل. وكانوا ينحنون أمام الرهبان باحترام عظيم ويحيونهم بكل ود. وبعد أن أعطوا القطع الفضية للفقراء الجيئين بهذه المعابد تبعوا جيش الوندال. واستمر الأمر على هذا الحال طول الطريق. إذ كان الوندال يقومون بهذه الجرائم فيعيد الجواسيس نفس ما فعلوه. حتى إذا اقتربوا من المور سبق الجواسيس وأنبأوا كاباون بما فعله الوندال وما فعلوه هم لمعابد النصارى. وأن العدو ليس عنهم بعيد. وعندما علم كاباون بهذا أعد عدّة المعركة على النحو التالي: إذ اختط دائرة في السهل الذي كان يزمع أن يتخذه معسكرًا له. ووضع جماله منحرفة بجوانبها تشكل دائرة لحماية المعسكر. وجعل جبهته تواجه العدو وأثنى عشر جملاً. ثم وضع الأطفال والنسوة والعجزة جميعاً مع ممتلكاتهم في وسط الدائرة. في حين أمر جملة الرجال الحاربين بان يقفوا بين أقدام تلك الحيوانات ويحموا أنفسهم بدروعهم.

ارتباك الوندال

فلما وجد الوندال جيش المور على هذا الوضع نهلوا عما يمكنهم عمله. إذ لم يكونوا يحسنون استعمال النبال ولا الأقواس. كما لم يكونوا يعرفون كيف يلتحمون راجلين. فقد كانوا جميعاً فرساناً يستخدمون الرماح والسيوف أكثر من سواها. فلم يكونوا لهذا يستطيعون إلحاق أذى بعدوهم على بعد.

كاباون ينتصر ويذيق الوندال العذاب

وقد حزنت خيولهم بعد أن أزعجها منظر الجمال. وأبت أن تنقاد في اتجاه العدو على الإطلاق. وهكذا استطاع المور أن يثخنوا الوندال قتلاً هم وخيولهم دون عناء. بأن رشقوهم بأعداد هائلة من النبال من مكنهم الأمان. وهم حشد كبير. فبدأ هؤلاء في الفرار. وعندما خرج المور كان أغلب الوندال قد هلك. بينما وقع بعضهم في أيديهم. ولم يعد من هذا الجيش سوى عدد قليل جداً!! وكان هذا هو نصيب تراساموندوس من العذاب الذي لاقاه على أيدي أهل طرابلس!.

أعظم وجوه لواته داخل المدينة، واعداء إياهم بتلبية طلباتهم كلها، وطلب من الباقين أن يظلوا في ضواحيها. وبعد أن أعطى هؤلاء الأعيان ضمانات السلام دعاهم إلى وليمة أفامها لهم، ويقال إن هؤلاء جاءوا إلى المدينة بيتون الغدر، وأنهم كانوا ينصبون فخاً لسرجيوس ليقتلوه، ولما جلسوا يأثرون معه دفعوا بتهم عديدة ضد الروم، وقالوا بالخصوص إن محاصليهم سلبت ظلماً وعدواناً، فنهض سرجيوس، غير ملتفت لهذه التهم، من فوق الكرسي الذي كان جالساً عليه بغية الذهاب، فحاول رجل من لواته أن يمنعه من ذلك بأن وضع يده على أحد كتفيه، ثم بدأ بقية رفاقه يصيحون واندفعوا نحو سرجيوس، لكن أحد حرسه استل سيفه وقتل ذلك اللواتي. ونتج عن هذا بالطبع هرج عظيم ارتفع في الدار، وكان أن قتل حرس سرجيوس كل شيوخ لواته الثمانين، إلا واحداً منهم اندفع خارج الدار حين رأى مذبحه رفاقه دون أن يلحظه أحد، وحين وصل إلى رجال قبيلته أعلن لهم ما جرى لزملائه، فلما سمعوا هذا أسرعوا إلى معسكرهم وتقلدوا جميعاً أسلحتهم لمواجهة الروم، وعندما اقتربوا من مدينة لبدة واجههم سرجيوس وبودنتيوس بجيشهم كله، وأصبح القتال في المعركة التحاماً بدأً بيد، وقد كان النصر في البداية للروم، فقتلوا كثيراً من العدو ونهبوا معسكره واستولوا على ممتلكاته، كما سبوا عدداً كبيراً جداً من النساء والأطفال، لكن بودنتيوس ما لبث أن قُتل بعد أن تملكته روح المخاطرة الطائشة، وانسحب سرجيوس والجيش الرومي إلى داخل لبدة بحلول الظلام.

لواته تكتسح جيش الروم

وقام بعد ذلك لواته يحاربون الروم باستعداد عظيم، ومضى سرجيوس ليلحق بعلمه سليمان عساه يمضي معه للقاء العدو بجيش أكبر، ووجد هناك أيضاً أخاه كوروس. وقد شن لواته حين وصولهم إلى (بوزاكيوم) 1 غاراتهم

1 - Byzacium هي مدينة سوسة، على الساحل الشرقي لتونس.

انتقام لواته

فقرة 21

مذبحة الثمانين شيخاً من لواته

وفي السنة الرابعة من هذا 11 انقلبت سعوود الروم كلها إلى نحوس. فقد عين الإمبراطور جستنيان في العام السابع عشر من حكمه كلاً من (كوروس) و(سرجيوس) ابني (باكوس) أخي (سليمان) 2 ليحكمها مدن ليبيا. فكان لكوروس - وهو الأكبر سنناً - (بنطابلس) 3 ولسرجيوس (طرابلس). وجاء المور الذين يدعون (لواته) 4 إلى سرجيوس بجيش عظيم في مدينة (لبدة العظمى)، وأذاعوا أن سبب قدومهم هو أن يعطيهم الهدايا وشعارات المناصب المعتادة 5 حتى يسود الأمن والسلام، ولكن سرجيوس، مقتنعاً برأي (بودنتيوس) - وهو رجل طرابلس ذكرت فيما سبق أنه أعان الإمبراطور جستنيان ضد الوندال في بداية الحرب الوندالية 6 - استقبل ثمانين رجلاً من

1 - الإشارة هنا إلى هدوء الأحوال بعد الصراع العنيف الذي خاضه أهل شمال أفريقيا ضد الوندال والروم، واستتباب الأمور لسليمان الداراسي الذي سبق ذكره، وكان هذا خلال عامي 543 - 544 م.

2 - Sergias وCyrus أبناء Solomon Bacchus هو أحد قادة الإمبراطور جستنيان في ليبيا، وكان من مدينة تقع في أقاليم الإمبراطورية البيزنطية من جهة الشرق تدعى Daras. كما كان قائداً للجيش الأجنبي، ومعاوناً للقائد الشهير Belasarius (أنظر: 9، 5-7، III، Xi).

3 - أي مدن برقة الخمس.

4 - أنظر: كتاب العمائر عند ذكر (لواته) والتعليق.

5 - راجع: (III، XXV، 4، FF) وكان من عادة سكان البلاد أن لا يعرفوا بأي حكن جديد إلا إذا دفع لهم بشعارات فضية مغشاة بالذهب، وغطاء رأس فضي يشبه الناج ومثبناً من جوانبه بركائز من فضة، وعباءة بيضاء تثبت على الكتف الأبيض بمشيك ذهبي، وقياء أبيض مطرز، وحقاء موه بالذهب.

6 - Podentius، راجع: (III، X، 22) ويذكر بروكوبيوس ما خلاصته أن فسيساً جاء إلى الإمبراطور جستنيان وأخبره بأن يسوع جلى له في المنام وقال له إنه سيكون مع جستنيان إذا ما شن الحرب على الوندال في ليبيا وخلصها من شرورهم، فاستعد الإمبراطور لغزو ليبيا، وجاءه في أثناء ذلك رسول من قبل بودنتيوس الطرابلسي هذا يطلب منه العون على القيام في وجه الوندال وينبئه بأن في إمكانه التغلب عليهم، فبعث له جستنيان جيشاً صغيراً بقيادة Tattimuth فاستولوا على أرض الوندال الذين كانوا مشغولين بأحداث أخرى في سردينيا، وأصبح منذ ذلك الحين حليفاً للروم.

وغنموا جزءاً كبيراً من تلك البلاد، وأصبح "انتالاس" 1 - الذي ذكرت فيما سبق أنه ظل على وفائه للروم وصار لهذا هو الحاكم الفرد على المور في بوزاكيوم - أصبح الآن عدواً لسليمان، ذلك لأن سليمان كان قد حرّمه من الجريّة السنوية التي كان الإمبراطور جستنيان يكرمه بها، كما قتل أخاه متهماً إياه بأنه مسئول عن ثورة قامت ضد سكان بوزاكيوم من الروم، وعليه فإن انتالاس سُرّ حين رأى لواته، وعقد معهم حلف هجوم ودفاع، وقاده ضد سليمان وقرطاجنة.

سليمان يستعد لقتال لواته

وبمجرد أن سمع سليمان بهذا حرك جيشه عن بكرة أبيه وسار ليواجه لواته، فهبط عليهم عند مدينة (تبسته) وهي تبعد مسافة ستة أيام عن قرطاجنة، وعسكر هناك بصحبة كوروس وسرجيوس وسليمان الأصغر أبناء أخيه باكوس. ثم أرسل إلى قادة لواته - وقد خشى كثرة عددهم - ولومهم لأنهم حملوا السلاح في وجه الروم في أثناء السلم معهم، وطلب منهم أن يوطدوا أركان السلام الموجود بين الشعبين، كما وعد بأنه سيحلف بأغلاظ الأيمان على أنه سيتغاضى عن كل ما فعلوه.

لواته تسخر من سليمان

لكن لواته قالوا - ساخرين من أقواله - إنه سيقوم طبعاً بكتب النصر المقدسة التي يدعونها الأناجيل، ولما كان سرجيوس قد أقسم هذه الأيمان ذات مرة ثم قتل أولئك الذين صدقوها فإينهم يتوقون إلى المعركة ليمتنحوا هذه الكتب المقدسة ذاتها، وليشبهوا أي ضرب من القوة فيها ضد الحائنين، حتى يثقوا فيها ثقة مطلقة قبل أن يدخلوا في اتفاق نهائي. ولما سمع سليمان ذلك أخذ أهبطه للحرب.

1 - Antalas، راجع: 30، IV، Xii. ويذكر بروكوبيوس أن مور بوزاكيوم لجأوا إلى جبال الأوراس في الجزائر مع بقية إخوانهم عندما دخل الروم قرطاجنة عام 535 م، ولم يبق في بوزاكيوم سوا انتالاس هذا وأتباعه، وقد هادن الروم.
2 - الانتشار هنا إلى مذبح الثمانين زعيماً (IV، XXI)، حيث لم يذكر بروكوبيوس شيئاً عن قسم آداه سرجيوس على الإخيل.

هزيمة الروم

وفي اليوم التالي اشتبك بقسم من الأعداء وقد أنوا معهم بغنائم كثيرة، فأنتصر عليهم في موقعة واستحوذ على كل ما لديهم من غنائم ووضعها تحت الحراسة، فغضب الجند عندها وقالوا إن من الظلم أن لا يوزع عليهم الأسلاب، فقال سليمان أنه ينتظر نتيجة الحرب ليوزع عليهم كل شيء آنذاك، فينال كل منهم سهمه الذي يستحق، لكن عندما هاجم لواته مرة أخرى بجيشهم كله تخاذل الروم هذه المرة ودخل الباقون المعركة دون حماسة، وقد ظلت كفتا الفريقين متعادلتين في بداية الأمر، ثم ما لبثت أن رجحت كفة لواته رجحاناً كبيراً لتفوقهم في العدد، فهرب أغلب الروم ورغم أن سليمان وثلة من الرجال حولته صمدوا زمناً لقذائف لواته فإينهم اندحروا في النهاية، ففروا على عجل حتى بلغوا وهدة من نهير كان يجري في ذلك الإقليم.

ومقتل سليمان

وهناك تعثر فرس سليمان وطرحه أرضاً، فرفعه حارسه بسرعة من بين أيدي رجال لواته ووضع على ظهر فرسه، لكن الألم الشديد غلبه ولم يعد قادراً على أن يمسك بعنان جواده، فأخذه لواته وقتلوه، كما قتلوا بجانبه عدداً كبيراً من حرسه.

وهكذا كانت نهاية حياة سليمان!